

وأجازه البغداديون، وستأتى أمثلة أخرى ذكر فيها آراء القوم، ثم كرّ عليها ودفعها.

فلم يبق أمام الباحث إلا مدرسة الأندلسيين النازحين إلى مصر، ولقد سبق القول أن مدرسة ابن مالك - وهو منهم - أشبه بمدرسة الكوفيين، أما أبو حيان فبينه وبين ابن هشام ما بين الضب والنون.

وغير هذين الإمامين ممن هبطوا مصر لم يكونوا له قدوة ولم تكن له فيهم أسوة، ألا تراه يحكى أقوالهم، ثم لا يبدو عليه ما يقطع بأنه قد أطمأن إليهم، وقد ذكر في «المغنى» في باب التعليق من الجمل التي لها محل من الإعراب قولاً لهم، ثم عارضه قول غيرهم، وإليك عبارته:

قال جماعة من المغاربة: إذا قلت علمت زيداً لأبوه قائم، أو ما أبوه قائم فالعامل معلق عن الجملة، وهو عامل في محلها النصب على أنه مفعول ثان، وخالف في ذلك بعضهم؛ لأن الجملة حكمها في مثل هذا أن تكون في موضع نصب، وألا يؤثر العامل في لفظها وإن لم يوجد، نحو: علمت زيداً أبوه قائم.

وهناك رأى لابن خلدون أرى من الأمانة أن أذكره، ولدى تعقيب عليه:

قال: «وكان ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جنى واتبعوا مصطلح تعليمه^(١)».

ولقد هممت بادىء الأمر بدراسة طريقة أهل الموصل، وهم من العراق بمكان قصي إذ ربما تكون لهم مدرسة مستقلة، ولكن ابن خلدون حكى أنهم اقتفوا أثر ابن جنى فكفاني مؤنة السعى إليهم والبحث في نحوهم ما دام ابن جنى مثلهم الأعلى، الذي كانوا إليه يهدفون، وعلى آثاره يقتدون، فنحو ابن جنى وطريقته في البحث تلقى ضوءاً على نحوهم وطريقتهم، وعلى نحو ابن هشام وطريقته واتجاهه إذا صح أنه اتبعهم ونحا نحوهم.

وبأيدينا كتاب «الخصائص»، وهو يمثل نحو أبي الفتح ويرى شرعته ومنهاجه ولقد رجعت إليه، ولم أكتف بدراستي فيه من قبل فالفيتة كتاباً قيماً، ومؤلفاً نفيساً، لصاحبه فيه جولات، هو موفق فيها كل التوفيق، ومواقف تنم عن البحث الحر وسلامة الفكر، وحسن العرض، وأصالة الرأي، ودقة التحقيق، والحجة البالغة.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٣ .